الكتاب رقم
(٩)

موسوعة تعظيم علّام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

العزم

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الرميحي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موسوعة:

تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

الكتاب رقم (٩)

العزم

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

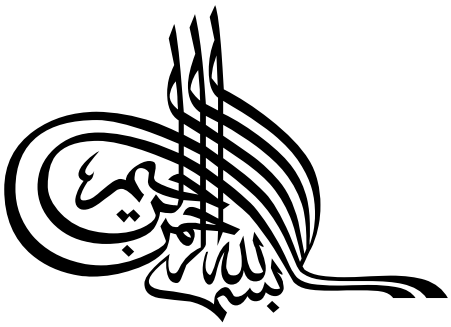
بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس المحتويات

مقدمة ٥
التعريف..... ٧
فضل العزم على الخير وصفات أهله..... ١١
وقفة تدبر ٣٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتمّ علينا النعمة، وجعل أمتنا - وله الحمد - خير أمة، وبعث نبيّنا رسولًا منّا يتلو علينا آياته ويزكّينا ويعلّمنا الكتاب والحكمة، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركا فيه على ما أنعم علينا بنعم لا نحصيها ولا نقوم بشكرها، اللّهم إنا نستغفرك ونتوب إليك، فيا ربنا لا تجعل مصيبتنا في ديننا إله الحق، واجعلنا من أهل العزم والعبادة والصلاة والقرآن والذكر والإحسان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أله وصحبه.

أما بعد؛ فهذه رسالة في العزم وأهميته وطرق تحصيله وعوائقه ونحو ذلك مما يحتاج إليه، أسأل الله تعالى العون والسداد والإخلاص والتوفيق، إنّ ربي رحيم ودود.

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

٩/ ٢/ ١٤٣٨

aldumaiji@gmail.com

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التعريف

من رام سفرًا بعيد المفاوز فلابد له من أهبةٍ تامة واستعداد وافر وصحّة عزيمة متوقّدة، وسفر الآخرة حقيقٌ بشد عزائم القلوب لبلوغ جنات النعيم والفوز برضوان رب العالمين والنجاة من غضبه ومن عذاب الجحيم. فلابد لكل سالك من عزيمة راسخة متمكنة مستمرة ليفلح وينجح ويغنم.

وهذا الكتاب مرتبط بكتاب الإرادة، فالعزم هو قوة الإرادة مع الثبات عليها.

«والعين والزاي والميم أصلٌ واحد صحيح يدلُّ علىٰ الصّريمة والقطع. يقال: عزمتُ أعزمُ عزمًا، ويقولون: عزمت عليك إلا فعلت كذا، أي جعلته أمرًا عزمًا أي لا مثنوية[1] فيه. ويقال: كانوا يرون لِعَزْمة الخلفاء طاعة.

قال الخليل: العزم: ما عُقد عليه القلبُ من أمرٍ أنت فاعلُه[2]، أي: متيقّنه، ويقال: ما لفلانٍ عزيمة، أي ما يَعزِمُ عليه، كأنه لا يمكنه أن يصرم الأمر، بل يختلط فيه ويتردّد»[3].

وقال الزجّاج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]: «فإذا جدّ الأمرُ، ولزم فرض القتال. والعرب تقول: عزمتُ الأمر، وعزمت عليه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٧].

---

(١) المثنوية هي الاستثناء.

(٢) ونسبه في تهذيب اللغة إلى الليث، كذلك في اللسان.

(٣) معجم المقاييس (٧٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الفرّاء في قوله تعالى في قصة آدم عليه السلام: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]: لم نجد له صريمة ولا حزمًا فيما فعل. وقال أبو الهيثم: العزيمة والصريمة واحدة، وهي الحاجة التي قد عزمت على فعلها، وفسرها قتادة بالصبر، يقال: طوى فلان فؤاده على عزيمة أمرٍ؛ إذا أسرّها في فؤاده»(١)، والفرق بين العزيمة والرخصة عند الأصوليين لها مباحث طويلة.

وقال الراغب: «العزم والعزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر، يقال: عزمتُ الأمر وعزمت عليه واعتزمتُ، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ [البقرة: ٢٢٧]، وقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وقال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] أي محافظة على ما أمر به وعزيمة على القيام»(٢).

وفي صحيح ابن خزيمة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: **«متى توتر؟»** قال: أوتر قبل أن أنام. فقال لعمر: **«متى توتر؟»** قال: أنام ثم أوتر، فقال لأبي بكر: **«أخذت بالحزم أو بالوثيقة»** وقال لعمر: **«أخذت بالقوة»**(٣)، فالحزم هو الاحتياط والقوة هي العزم.

---

(١) معجم تهذيب اللغة (٣/ ٢٤٢٥، ٢٤٢٦)، وانظر: لسان العرب (٦/ ٢٣٥-٢٣٧)، وانظر: القاموس (١١٥٢، ١١٥٣).

(٢) المفردات (٣٣٧).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/ ١٤٥) (١٠٨٤) وصححه الألباني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفرق بين العزم والإرادة والهمّ:

قال الكفوي: «دواعي الإنسان إلى الفعل من خير أو شر على مراتب، منها: الإرادة، ومنها: الهمُّ بالشيء، ومنها العزم». وذكر الفروق بينها فقال: «الهم اجتماع النفس على الأمر، والإزماع عليه، والعزم هو القصد على إمضائه، فالهمُّ فوق الإرادة ودون العزم»(١).

قلت: والإرادة لها مراتب تنتظم الرغبة والهم والعزم، وأعلاها الإرادة الجازمة التي تستلزم وقوع الفعل عند القدرة عليه، ويستحق صاحبها عليها الثواب أو العقاب.

(١) الكليات، الكفوي (٩٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هل يوصف الله عز وجل بالعزم؟

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو سبحانه يقدّر الأشياء ويكتبها، ثم بعد ذلك يخلقها، فهو إذا قدرها علم ما سيفعله، وأراد فعله في الوقت المستقبل، لكن لم يرد فعله في تلك الحال، فإذا جاء وقته أراد فعله، فالأول عزم، والثاني قصد. وهل يجوز وصف الله تعالى بالعزم؟ فيه قولان؛ أحدهما: المنع كقول القاضي أبي بكر والقاضي أبي يعلى. والثاني: الجواز، وهو أصحّ؛ فقد قرأ جماعة من السلف: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] بالضم، وفي الحديث الصحيح من حديث أم سلمة: **«ثم عَزَمَ الله لي»**(١)، وكذلك في خطبة مسلم **«فعزم لي»**، وسواء سمّي عزمًا أو لم يسمّ، فهو سبحانه إذا قدرها علم أنه سيفعلها في وقتها، وأراد أن يفعلها في وقتها. فإذا جاء الوقت فلابد من إرادة الفعل المعين، ونفس الفعل، ولابد من علمه بما يفعله»(٢).

(١) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم لأبي نعيم الأصبهاني (٢٠٥٨) (٣/ ٧)، والمعجم الكبير للطبراني (٦٩٢) (١٦٩٤٤).

(٢) الفتاوى (١٦/ ٣٠٣، ٣٠٤)، ثم قال: «ثم الكلام في علمه بما يفعله؛ هل هو العلم المتقدم بما سيفعله، وعلمه بأن قد فعله هل هو الأول؟ فيه قولان معروفان، والعقل والقرآن يدل على أنه قدر زائد، كما قال: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ في بضعة عشر موضعًا، وقال ابن عباس: إلا لنرى».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فضل العزم على الخير وصفات أهله

قال شمس الدين رَحِمَهُ اللَّهُ في منزلة العزم: «فإذا استحكم قصده صار عزمًا حازمًا، مستلزمًا للشروع في السفر، مقرونًا بالتوكل على الله. قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والعزم هو القصد الجازم المتصل بالفعل. ولذلك قيل: إنه أول الشروع في الحركة لطلب المقصود، وأن التحقيق: أن الشروع في الحركة ناشئ عن العزم، لا أنه هو نفسه، ولكن لما اتصل به من غير فصل ظُنَّ أنه هو، وحقيقة العزم: استجماع قوى الإرادة على الفعل.

والعزم نوعان: أحدهما: العزم على الدخول، والثاني: العزم في حال السير، وهو أخص»(١)(٢).

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٥٩).

(٢) هناك اصطلاحات يكثر ترددها في كتب أعمال القلوب والسلوك أرادوا منها تمييز بعض المعاني عن بعض، وهذه المصطلحات وإن لم ترد بمسمياتها في القرآن والسنة، إلا أن المقصود بها مثل المقصود بالمصطلحات الفقهية والأصولية والنحوية الأخرى، فالغرض منها تقريب العلم للسامع أو القارئ دون التعبد بها. لذلك فالحكم فيها الإباحة ما لم تزاحم مصطلحات شرعية أو يكون في مضمونها محذور شرعي، وهي كثيرة ولا ينتظمها حكم واحد، ومن أكثرها تداولاً مصطلحا الحال والمقام.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولأرباب السلوك اختلاف كثير في عدد المقامات وترتيبها، =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

=

كل يصف منازل سيره وحال سلوكه. ولهم اختلاف في بعض منازل السير هل هي من قسم المقامات أو من قسم الأحوال؟ والفرق بينهما أن المقامات كسبية، والأحوال وهبية، ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات والمقامات نتائج الأعمال، فكل من كان أصلح عملاً كان أعلى مقامًا، وكل من كان أعظم مقامًا كان أعظم حالاً.

فمما اختلفوا فيه: الرضا هل هو حال أو مقام؟ وحكم بينهم بعض الشيوخ فقال: إن حصل بكسب فهو مقام، وإلا فهو حال.

والصحيح في هذا: أن الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها، فتكون لوامع وبوارق ولوائح عند أول ظهورها وبُدوّها، كما يلمع البارق ويلوح عن بُعْد، فإذا نازلته وباشرها فهي أحوال، فإذا تمكّنت منه وثبتت له من غير انتقال فهي مقامات. وهي لوامع ولوائح في أولها، وأحوال في أوسطها، ومقامات في نهايتها. فالذي كان بارقًا هو بعينه الحال، والذي كان حالاً هو بعينه المقام.

وهذه الأسماء له باعتبار تعلقه بالقلب، وظهوره له، وثباته فيه، وقد ينسلخ السالك من مقامه كما ينسلخ من الثوب، وينزل إلى ما دونه، ثم قد يعود إليه، وقد لا يعود!

ومن المقامات ما يكون جامعًا لمقامين، ومنها ما يكون جامعًا لأكثر من ذلك، ومنها ما تندرج فيه جميع المقامات، فلا يستحق صاحبه اسمه إلا عند استجماع جميع المقامات فيه. (قلت: وتأمل تسمية ابن القيم للمنازل بالمقامات أيضًا).

فالتوبة جامعة لمقام المحاسبة ومقام الخوف، لا يتصور وجودها بدونهما.

والتوكل جامع لمقام التفويض والاستعانة والرضا، لا يتصور وجوده بدونها.

والرجاء جامع لمقام الخوف والإرادة.

والخوف جامع لمقام الرجاء والإرادة.

والإنابة جامعة لمقام المحبة والخشية، لا يكون العبد منيبًا إلا باجتماعهما.

=

www.alukah.net
شبكة الألوكة

=

ومقام المحبة جامع لمقام المعرفة والخوف والرجاء والإرادة، فالمحبة معنى يلتئم من هذه الأربعة، وبها تحققها.

والإخبات جامع لمقام المحبة والذل والخضوع.

والزهد جامع لمقام الرغبة والرهبة.

ومقام الخشية جامع لمقام المعرفة بالله، والمعرفة بحق عبوديته.

ومقام الهيبة جامع لمقام المحبة والإجلال والتعظيم.

ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان، لذلك كان أرفعها وأعلاها.

ومقام الحياء جامع لمقام المعرفة والمراقبة.

ومقام الأنس جامع لمقام الحب مع القرب.

ومقام الصدق جامع للإخلاص والعزم.

ومقام المراقبة جامع للمعرفة مع الخشية.

ومقام الطمأنينة جامع للإنابة والتوكل والتفويض والرضا والتسليم.

وكل مقام من هذه المقامات فالسالكون بالنسبة إليه نوعان: أبرار، ومقربون، فالأبرار في أذياله، والمقربون في ذروة سنامه. وهكذا مراتب الإيمان جميعها، وكل من النوعين لا يحصي تفاوتهم وتفاضل درجاتهم إلا الله» المدارج (١/ ٢٦٣، ٢٦٨) بتصرف يسير.

وقال: «واعلم أن ترتيب المقامات ليس باعتبار أن السالك يقطع المقام ويفارقه إلى الثاني كمنازل السير الحسي، هذا محال! ألا ترى أن اليقظة معه في كل مقام لا تفارقه، وكذلك البصيرة والإرادة والعزم وكذلك التوبة، فإنها كما أنها من أول المقامات فهي أخص أيضًا، بل هي في كل مقام مستصحبة، كما قال تعالى في غزوة تبوك: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ

=

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعبد إذا عزم على فعل أمر فعليه أن يعلم أولًا: هل هو طاعة لله أم لا؟

فإن لم يكن طاعة فلا يفعله إلا أن يكون مباحًا يستعين به على الطاعة، وحينئذ يصير طاعة، فإن بان له أنه طاعة فلا يُقدم عليه حتى ينظر هل هو مُعانٌ عليه أم لا؟ فإن لم يكن معانًا عليه فلا يقدم عليه فيذل نفسه، وإن كان معانًا عليه؛ بقي عليه نظر آخر: وهو أن يأتيه من بابه، فإن أتاه من غير بابه أضاعه أو أفسد منه شيئًا، فهذه الأمور الثلاثة أصلُ سعادة العبد وفلاحه، وهي معنى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]، فأسعد الخلق أهل العبادة والاستعانة والهداية إلى المطلوب، وأشقاهم من عَدِمَ الأمور الثلاثة، ومنهم من يكون له نصيب من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونصيبه من ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ معدوم أو ضعيف، فهذا مخذول مهين محزون، ومنهم من يكون

=

يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، فجعل التوبة أول أمرهم وآخره، كذلك الصبر لا ينفك عنه في مقام من المقامات، وإنما هناك منازل متوقفة على ثبوت ما قبلها، كالرضا يستحيل ثبوته بدون ثبوت الصبر قبله وهكذا» المدارج (١/ ٢٦١) باختصار.

وقال أبو حامد: «يسمى الوصف مقامًا إذا ثبت وأقام، وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضًا سريع الزوال، وكما أن الصفرة تقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب، وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل، وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض؛ فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام، فالذي هو غير ثابت يسمّى حالاً لأنه يحول على القرب، وهذا جار على كل وصف من أوصاف القلب». الإحياء (٢/ ١٤٣١) وقد سبق الكلام على شيء من هذا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نصيبه من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ضعيفًا أو مفقودًا، فهذا له نفوذ وتسلط وقوة، ولكن لا عاقبة له، بل عاقبته أسوأ عاقبة، ومنهم من يكون له نصيب من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولكن نصيبه من الهداية إلى المقصود ضعيف جدًّا، كحال كثير من العُبَّاد والزهاد الذين قلّ علمهم بحقائق ما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق»(١).

«وليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة، فيصدق في عزمه وفي فعله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل، فصدق العزيمة جمعُها وجزمُها وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوُّم.

فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه، وألا يتخلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه. فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور. ومن صَدَق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره، وهذا الصدق معنى يلتئم من صحة الإخلاص وصحة التوكل، فأصدق الناس من صحّ إخلاصه وتوكله»(٢).

«وللعباد أقسام في سفرهم إلىٰ ربهم؛ فالعبد من حين استقرّت قدمه في هذه

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم (٢/ ١٦٠، ١٦١).

(٢) الفوائد، ابن القيم (٢٧١، ٢٧٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدار، فهو مسافر إلىٰ ربه، ومدّة سفره هي عمره الذي كتب له، فالعمر هو مدّة سفر الإنسان في هذه الدار إلىٰ ربه تعالىٰ، ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره، فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتىٰ ينتهي السفر.

فالكيّس الفطن هو الذي يجعل كل مرحلة نصب عينيه، فيهتم بقطعها سالمًا غانمًا، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه، ولا يطول عليه الأمد فيقسو قلبه، ويمتدّ أمله، ويحضره التسويف والوعد والتأخير والمطل، بل يعدّ عمرَهُ تلك المرحلة الواحدة، فيجتهد في قطعها بخير ما بحضرته. فإنه إذا تيقّن قصرها وسرعة انقضائها هان عليه العمل، وطوّعت له نفسه الانقياد إلى التزوّد، فإذا استقبل المرحلة الأخرى من عمره استقبلها كذلك، فلا يزال هذا دأبه حتى يطوي مراحل عمره كلها، فيحمد سعيه، ويبتهج بما أعدّه ليوم فاقته وحاجته. فإذا طلع صبح الآخرة وانقشع ظلام الدنيا؛ فحينئذ يحمد سُراه، وينجلي عنه كَراه، فما أحسن ما يستقبل يومه، وقد لاح صباحُه، واستبان فلاحه!

ثم إن الناس في قطع هذه المراحل قسمان: فقسم قطعوها مسافرين فيها إلى دار الشقاء، فكلما قطعوا مرحلة منها قربوا من تلك الدار، وبعدوا عن ربهم وعن دار كرامته، فقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب ومعاداته، فهؤلاء جُعلت أيامهم مراحل يسافرون فيها إلى الدار التي خُلِقوا لها، واستعملوا بعملها، فهم مصحوبون فيها بالشياطين الموكلة بهم حتى يسوقونهم إلى منازلهم سوقًا، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]، أي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تزعجهم إلى المعاصي والكفر إزعاجًا، وتسوقهم سوقًا.

القسم الثاني: قطعوا تلك المراحل سائرين فيها إلى الله تعالى وإلى دار السلام، وهم فيها ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله. وهؤلاء كلهم مستعدون للسير، موقنون بالرجعى إلى الله، ولكن متفاوتون في التزود وتعبئة الزاد واختياره، وفي نفس السير وسرعته وبطئه.

فالظالم لنفسه: مقصّر في الزاد، غير آخذ منه ما يبلغه المنزل، لا في قدره ولا صفته، بل مفرّط في زاده الذي ينبغي له أن يتزوّده، ومع ذلك فهو متزوّد بما يتأذى به في طريقه، ويجد غِبَّ أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزود من ذلك المؤذي الضار.

والمقتصد: اقتصد من الزاد على ما يُبلّغه، ولم يشدّ مع ذلك أحمال التجارة الرابحة، ولم يتزود ما يضرّه، فهو سالم غانم، ولكن فاتته المتاجر الرابحة، وأنواع المكاسب الفاخرة.

والسابق للخيرات: همّه في تحصيل الأرباح، وشدّ أحمال التجارات، لعلمه بمقدار ربحه الحاصل، فيرى خسرانًا أن يدّخر شيئًا ممّا بيده ولا يتجر فيه، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم، فهو كرجل قد علم أن أمامه بلدةً يكسب الدرهم فيها عشرة إلى سبعمئة وأكثر، وعنده حاصل، وله خبرة بطريق ذلك البلد، وخبرة بالتجارة، فهو لو أمكنه بيع ثيابه وكل ما يملك حتى يهيئ به تجارة إلى ذلك البلد لفعل، فهكذا حال السابق بالخيرات بإذن ربه، يرى خسرانًا بيّنًا أن يمر عليه وقت في غير متجر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فنذكر بعون الله وفضله نبذةً من تاجر الأقسام الثلاثة ليعلم العبد من أي التجار هو:

فأما الظالم لنفسه: فإنه إذا استقبل مرحلة يومه وليله، استقبلها وقد سبقت حظوظه وشهواته إلى قلبه، فحرّكت جوارحه طالبة لها ساعية فيها. فإذا زاحمتها حقوقُ ربّه فتارةً وتارة؛ فمرّة يأخذ بالرخصة، ومرّة بالعزيمة، ومرّة يُقدم على الذنب وترك الحق تهاونًا ووعدًا بالتوبة. فهذا حال الظالم لنفسه، مع حفظ التوحيد والإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، والتصديق بالثواب والعقاب. فمرحلة هذا مقطوعة بالربح والخسران، وهو للأغلب منهما.

فإذا وَرَدَ القيامة مُيِّز ربحه من خسارته، وحُصّل ربحه وحده وخسرانه وحده، وكان الحكم للراجح منهما، وحكم الله عز وجل من وراء ذلك، لا يعدم عباده منه فضله وعدله.

وأما المقتصدون: فأدّوا وظيفة تلك المرحلة، ولم يزيدوا عليها، ولم ينقصوا منها، فلا حصلوا على أرباح التجار، ولا بخسوا الحق الذي لهم.

فإذا استقبل أحدهم مرحلة يومه، استقبلها بالطهور التام، والصلاة التامة في وقتها، بأركانها وواجباتها وشرائطها، ثم ينصرف منها إلى مباحاته ومعيشته وتصرفاته التي أذن الله له فيها مشتغلاً بها، قائمًا بأعبائها، مؤديًا واجب الرب فيها، غير متفرّغ لنوافل العبادات، وأوراد الأذكار والتوجه.

فإذا حضرت الفريضة الأخرى بادر إليها كذلك، فإذا أكملها انصرف إلى حاله الأول، فهو كذلك سائر يومه وفي الليل كذلك، وإذا جاء الصوم الواجب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قام بحقّه، وكذلك الزكاة الواجبة والحج الواجب، وكذلك المعاملة مع الخلق، يقوم فيها بالقسط، لا يظلمهم ولا يترك حقه لهم.

وأما السابقون بالخيرات: فهم نوعان: أبرار ومقربون، وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أهل اليمين وهم المقتصدون والأبرار والمقربون. وأما الظالم لنفسه فليس من أصحاب اليمين عند الإطلاق، وإن كان مآله إلى أصحاب اليمين، كما أنه لا يسمّى مؤمنًا عند الإطلاق وإن كان مصيره ومآله مصير المؤمنين بعد أخذ الحق منه.

وقد اختُلف في قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ الآية [فاطر: ٣٣] ، هل ذلك راجع إلى الأصناف الثلاثة: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات[١]، أو يختص بالقسمين الأخيرين، وهما المقتصد والسابق؟ على قولين» ثم أطال النفس رَحِمَهُ اللَّهُ في إيراد الأدلة والحجج ومناقشتها[٢]، ثم قال: «ونكتة المسألة: أن الاصطفاء والولاية والصدّيقية، وكون الرجل من الأبرار والمتقين ونحو ذلك، كلها مراتب تقبل التجزّئ والانقسام والكمال والنقصان، كما هو ثابت باتفاق السلف في أصل الإيمان، وعلى هذا

---

(١) أي في الآية السابقة لهذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣].

(٢) حيث استغرقت الصفحات (١/ ٤٠٨-٤٤٢) من طريق الهجرتين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيكون الظالم لنفسه مصطفى من وجه، ظالمًا لنفسه من وجه آخر. وظلم النفس نوعان: نوع لا يبقى معه شيء من الإيمان والولاية والاصطفاء، وهو ظلمها بالشرك والكفر. ونوع يبقى معه حصّة من الإيمان والاصطفاء والولاية، وهو ظلمها بالمعاصي، وهو درجات متفاوتة في القدر والوصف، فهذا التفصيل يكشف قناع المسألة ويزيل إشكالها بحمد الله».

ثم قال ممهدًا لوصف المقربين السابقين: «وأما السابقون المقربون، فنستغفر الله الذي لا إله إلا هو أولاً من وصف حالهم وعدم الاتصاف به، بل ما شممنا له رائحة، ولكن محبة القوم تحمل على تعرّف منزلتهم والعلم بها»(١)، ثم ذكرهم بكلام رائق ووصف شائق وعلم واسع وفقه عميق، وسنذكره بطوله عند الكلام عن التبتل والقنوت إن شاء الله تعالى.

وقال رحمه الله: «النفس حجاب بين العبد وبين الله، لا يصل إلى الله حتى يقطع هذا الحجاب، وهي جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله عز وجل، وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلابد أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه، ومنهم من هو سهل عليه، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

وفي ذلك الجبل أودية وشعاب وعقبات ووهود وشوك وعوسج وعُلَّيق(٢)

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٤٠٣ـ ٤٠٨) (١/ ٢٤٦) باختصار. وانظر: التبيان في أيمان القرآن، ابن القيم (٣٥٤ـ٣٥٦).

(٢) العليق هو التوت البري. وفي العهد القديم ـ وهي التوراة المحرفة مع كتب الأنبياء ـ النص على أن الشجرة التي كلم الله منها موسى عليه السلام هي شجرة العلّيق. =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشبرق، ولصوص يقطعون الطريق على السائرين، ولا سيما أهل الليل المدلجين، فإذا لم يكن معهم عُدَدُ الإيمان ومصابيح اليقين تتّقِد بزيت الإخبات، وإلا تعلّقت بهم تلك الموانع، وتشبثت بهم تلك القواطع، وحالت بينهم وبين السير. فإن أكثر السائرين فيه قد رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحام عقباته.

والشيطان على قُلَّةِ ذلك الجبل، يُحذّر الناس من صعوده وارتفاعه، ويُخوّفهم منه، فيتّفق مشقّةُ الصعود، وقعود ذلك المخوِّفُ على قُلَّته، وضعف عزيمة السائر ونيته، فيتولد من ذلك الانقطاع والرجوع! والمعصوم من عصمه الله.

وكلّما رقى السائر في ذلك الجبل اشتد به صياح القاطع وتحذيره وتخويفه، فإذا قطعه وبلغ قُلّته؛ انقلبت تلك المخاوف كلهن أمانًا، وحينئذ يسهل السير، وتزول عنه عوارض الطريق، ومشقة عقباتها، ويرى طريقًا واسعًا آمنًا يُفضي به إلى المنازل والمناهل، وعليه الأعلام، وفيه الإقامات قد أُعدت لركب الرحمن.

فبين العبد وبين الفلاح وبين السعادة قوّة عزيمة، وصبر ساعة، وشجاعة نفس، وثبات قلب. والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[(١)].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيتها النفس! تدبري أمرك وتأملي، ومثّلي ما يبقى وما يفنى ولا تعجلي، لقد ضللتِ طريق الهدى فقفي واسألي، وآثرتِ هَوْنًا يُورث

=

والله أعلم بصحة ذلك.

(١) عن: إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك، عبد الكريم الحميد (٢٢٦، ٢٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهنًا لا تفعلي، يا غمرةً من الشقاء ما أراها تنجلي، اتّبع الهوى، والهوى عليَّ ليس لي، أُريدُ حياة نفسي، ونفسي تريد مقتلي، يا جسدًا قد بلي، بما قد بُلي:

نخطُــو ومــا خطْوُنــا إلا الأجــلِ ... وننقــضي وكــأن العمــر لم يَطُــلِ

يا مذنبين: مصيبتنا واحدةٌ، وكل غريب للغريب نسيبٌ.

من نام على فراش الكسل سار به سيل التمادي إلى وادي الأسف.

الرجولية قوّة معجونة في طين الطبع، والأنوثية رخاوة.

ولد السبع عزيز الهمّة، وابن الذئب غدّار، وكلٌّ إلى طبعه عائد.

الجدُّ كلُّه حركة، والكسل كله سكون.

إذا أردت أن تعرف الديك من الدجاجة حين يخرج من البيضة؛ فعلّقه بمنقاره فإذا تحرّك فديكٌ، وإلا فدجاجة.

فُتُورُكَ عن السعي في طلب الفضائل دليل على تأنيث العزم.

يا من قد بلغ أربعين سنة، وكل عمره نومٌ وسِنَةٌ، يا متعبًا في جمع المال بدنَه، ثم لا يدري لمن خَزَنه، أعْلِمْ هذه النفس الممتحنة؛ أنها بكسبها مُرتهنة، ألا يعتبر المغرور بمن دفنه؟! كم رأى جبارًا فارق مسكنه ثم سَكَن مَسْكَنَ مَسْكَنَةَ(١).

يا راحلين بالإقامة، يا هالكين بالسلامة، أين من أخذ صفوَ ما أنتم في كدره؟ أما وعظكم في سَيْرِه بِسِيَرِهِ؟ بلى قد حمل بريدُ الإنذار أخبارهم، وأراكم تصفُّحُ الآثار آثارَهم.

---

(١) المسكنة: الذلة والقلّة.

www.alukah.net

وحـــدَّثتك الليـــالي أن شـــيمتها   تفريـق مـا جمعتْـهُ فاسـمع الخَـبَرا
فكـن على حذرٍ منها فقد نَصَحَت   وانظـر إليهـا تَـرَ الآيـات والعِـبرَا
فهـل رأيـت جديـدًا لم يعُـدْ خَلِقًـا   وهـل سمعتَ بصفوٍ لم يـصِرْ كَـدَرا

حبُّ الدنيا خيال، تغُرُّ الغِرَّ، المتمسك بها يلعب بِلُعابِ الشمس!

الدنيا كامرأة فاجرة، لا تثبت مع زوج، فلذلك عِيْبَ حلابُها.

حَلَفَــتْ لنــا ألا تخــونَ عهودَهــا   فكــأنّما حلفــت لنــا ألا تفــي

كم أفردت من أرفدت، وأخمدت من أخدمت، وقلّلت من ألَّفت، وأفقرت من أرفقت، وفارقت من رافقت، وقطّعت من أقطعت؟! فعلها في التكدير كلُّه كذا، فإن آثرت الصفا فما في الزهد[١] من أذى، وإن أردت القذى، فألقِ ذا.

يا من إذا أصبح طلب بالمعاش الشهوات، وإذا أمسى انقلب إلى فراش الغفلات، أين أنت من أقوام نَصَبوا الآخرة بين أعينهم فنصبوا[٢]، فوفَّر النصبُ نصيبهم ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٦، ٤٧].

يا سوق الأكل: أين أرباب الصيام؟! يا فرش النوم: أين حُرَّاسُ الظلام؟ دَرَسَتْ والله المعالم، ووقعت الخيامُ، قِف بنا على الأطلال، نخُصُّها بالسلام.

(١) مما يعين على مضاء العزيمة للآخرة؛ الزهد في الدنيا.

(٢) نصبوا: جدّوا واجتهدوا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا الصَّبا سحبت أذيالها سحرًا ... على العقيق وقرَّت في رُبى إضَمِ
وَحَرَّشَتْ بين بانِ الجَزْعِ ظالمةً ... وشيحه وجَرَتْ في الضَّالِ والسَّلمِ(١)
تنفَّسَ الوجدُ وارتاح المشوقُ لها ... وعاشَ بالرُّوحِ بعد الأخذِ بالكَظَمِ

ما وصل القوم إلى المنزل إلا بعد طول السُّرى، ما نالوا لذّة الراحة إلا بعد مرارة التعب.

لو قَرُب الدُّرُّ على جُلَّابه ... ما لجَّجَ الغائصُ في طلابِهِ
ولو أقام لازمًا أصدافَهُ ... لم تكن التيجانُ في حسابِهِ
ما لؤلؤ البحرِ ولا مرجانُهْ ... إلا وراء الهولِ في عُبابِهِ
من يعشق العلياءَ يلقَ عندها ... ما لقي المحبوبُ من أحبابِهِ

ما حظي الدينار بنقش اسم الملك حتى صبرت سبيكته على التردد إلى النار، فنفت عنه كل كَدَر، ثم صبرت على تقطيعها دنانير، ثم صبرت على ضربها على السكة، فحينئذ ظهر عليها رقم النَّقْش ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

من طلب الأَنْفَسَ هَجَرَ الألذَّ، من اهتم بالجوهر نسيَ العَرَض، «يا صفراء يا

(١) الشيح: من رياحين البر، ورائحته طيبة ويكثر في نجد. والضال: واحدته ضالة، وهو شجر من فصيلة النبقيات. السلم: واحدته سلمة وهو شجر شائك من فصيلة القطانيات، ويكثر في تهامة والحجاز، ويسمى عند بعضهم «السنط» ويكثر في سهوب أفريقيا وفي السافانا، ومن عروقه يستخرج القرظ للدباغ. وكان من اشتاق للحجاز ذكر السلم، ومن اشتاق لنجد ذكر العرار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بيضاء غُرِّي غيري»(١).

«يا معاشر التائبين ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، مكابدةُ البادية تهونُ عند ذكر منًى، المُضحَّى في بوادي(٢) الجوع والمُعَشَّى في بوادي السهر، إلى أن تلوح بوادي القبول، إن وَنَتْ في السير ركائبكُم، فأقيموا حداةَ العزم تُدْلِجُ.

البين يا أهل المطايا البينا ... لا يشتكي سوطك البُطينا
يا حادِيَيْها من نُمير عامرٍ ... خُذا بها عن حاجرٍ(٣) يمينا
حُلّا على وادي الغضى ـ نُسوعها ... وأرخيا بِرَامَةَ الوضينا(٤)
رِدَا بها ماء العُذيبِ عَلَّها ... تُشفَى وتُطفي داءَها الدفينا(٥)
واستقبلا بالجَزْعِ أنفاسَ الصَّبا ... أين استقلّ(٦) الجيرةُ الفادونا»(٧)

---

(١) الصفراء والبيضاء: الذهب والفضة. والأثر رواه أحمد موقوفًا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٣١٥).

(٢) بوادي: جمع بادية، وهي الصحراء.

(٣) حاجر: منزل للحاج في البادية.

(٤) وادي الغضا: وادٍ بنجد. النسع: سيرٌ ينسج عريضًا على هيئة أعنَّةِ النّعال تشدّ به الرحال. رامة: موضع ببادية القصيم بقرب الرس ولا زال باسمه حتى اليوم. الوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر.

(٥) ردا: فعل أمر من الفعل يَرِدُ. وورد الماء: أشرف عليه. العذيب: وادٍ شمال المدينة.

(٦) الجزع: قرية قريبة من المدينة النبوية. استقل: ركب وامتطى وسافر.

(٧) المدهش (١/ ٢٦٩- ٢٧٤) باختصار.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«أين عزائمُ الرجال؟ أين صرائمُ[١] الأبطال؟ تُدعىٰ وتتوانىٰ! هذا مُحال.

أشتاقُكُمْ ويحولُ العزمُ دونكمُ ... فأدَّعي بُعْدَكمْ عنّي وأعتذرُ
وأشتكي خطرًا بيني وبينكمُ ... وآية الشوقِ أن يُستصغَرَ الخطَرُ

إن هممت فبادر، وإن عزمت فثابر، واعلم أنه لا يُدرك المفاخر من رضي بالصف الآخر.

قال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: خُلِقتْ لي نفسٌ توَّاقة، لم تزل تتوقُ إلى الإمارة، فلما نالتها تاقت إلى الخلافة، فلما نالتها تاقت إلى الجنة[٢].

بدوتُ وأهلي حاضرون لأنني ... أرى أن دارًا لستُ من أهلها قفرُ
وما حاجتي للمال أبغي وُفُورَهُ ... إذا لم يَفِرْ عِرْضِي فلا وَفَرَ الوَفْرُ
وقال أُصيحابي الفرارُ أو الرَّدى ... فقلتُ هما أمران أحلاهما مُرُّ
سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدّهُمُ ... وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدرُ
ولو سدَّ غيري ما سددتُ اكتفوا به ... وما كان يغلو التِّبْرُ لو نَفَقَ الصُّفْرُ[٣]
ونحن أناسٌ لا توسُّطَ عندنا ... لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ
تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ... ومن يخطب الحسناء لم يُغْلِهِ المهرُ[٤]

---

(١) صرائم: جمع صريمة، وهي العزيمة.
(٢) وتأمل العلاقة بين العزم وعلو الهمة.
(٣) التِّبْر: فتات الذهب والفضة قبل أن يُصاغا. الصُّفر: النحاس.
(٤) الأبيات لأبي فراس الحمداني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ابتُليت الهمم العالية بعشق الفضائل، شجرُ المكارِهِ يثمرُ المكارم.

متى لاحت الفريسةُ قذفت الغابةُ السَّبُعَ.

إذا استقام للجواد الشوط لم يُحْوِج راكبه إلى السوط.

من ضرب يوم الوغى وجه الهوى بسهم؛ ضرب مع الشجعان يوم القسمة بسهم.

من اشتغل بالعمارة، استغلَّ الخراج. إذا طلع نجمُ الهمة في ظلام ليل البطالة، ثم ردفَهُ قمرُ العزيمة أشرقت الأرض.

يا طالبًا للدعة؛ أخطأت الطريق، علّة الراحة التعب، إن لم تكن أسدًا في العزم، ولا غزالًا في السبق، فلا تتشعلب.

يا هذا! الجدُّ جناح النجاة، وكَسَلُكَ مُزْمِنٌ.

من كَدَّ كَدَّ العبيد؛ تنعَّمَ تنعُّمَ الأحرار.

من امتطى راحلة الشوق؛ لم يَشُقَّ عليه بُعْدُ السفر.

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرامِ المكارمُ

يا فلان! ألك في مجاهدة النفس نيّةٌ؟ أم النيَّةُ نيَّةٌ؟

ما نَفَشت غنم العيون النواظر، في زروع الوجوه النواضر، إلا وأُغيرَ على السَّرح! والمتعرِّضُ للنَّبَلَةِ أبْلَهُ.

إخواني! إلى متى سُكْرٌ عن المقصود؟! ألا صحو ساعة؟!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَثَلُ أهل الدنيا في غفلتهم وطول آمالهم كمثل الحاج، نزلوا منزلاً، فقام أقوام يقطعون الصخور، ويبنون البيوت، فقال المتيقظون: ويحكم! ما هذا البَلَهُ؟! الرحيلُ بعد ساعة.

لو عَلِمَ الوردُ قِصَر عُمره ما تبسَّم، بينما هو ينشرُ بَزَّ ريحه في شمال البُكور، بَزَّه الناطور[١] فإذا هو في زُجاجة الزُّور[٢]، فانتبه أنت ولا تغترّ بزور.

إذا المـــرءُ كانـــت لـــه فكـــرةٌ ففـــي كـــل شيء لـــه عـــبرةٌ

تزوّج صلة بن أشيم فأدخله ابنُ أخيه الحمّام، ثم أُدخل بيت المرأة، وقد طُيّب، فقام يصلّي فمدَّ الصلاة إلى الفجر، فعاتبه ابن أخيه فقال: إنك أدخلتني أمس بيتًا أذكرتني به النارَ، ثم أدخلتني بيتًا أذكرتني به الجنة، فما زال فكري فيهما حتى أصبحت»[٣].

والجهاد والمجاهدة لابد لهما من وقود عزيمة، فعلى قدر المشقة النازلة يحتاج العبد لعزيمة رافعة.

ورايـة الكفـر إن طالـت سـلامتها لا تيأســن فــإن الكــسر لاقيهــا
لا يُسند الحق مثل العزم فَأْتِ به لا ينصـر الحـق وعـدًا مـن أعاديهـا
جيش من الكفر مهزوم إذا صدقَتْ نيّــات قــومي إلى أعــلى أعاليهــا

(١) بزّه: قطعه. الناطور: حارس البستان والقيّم عليه.
(٢) الزور: مجلس اللهو والغناء.
(٣) المدهش (١/ ٣٦٤-٣٦٨) باختصار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نمشي حفاةً على الرمضاء تأسُرُنا ... فردوس ربي فلا الدنيا تدانيها
نمشي ـ بعزم وفي الأنفال شرعتنا ... يا أبلغ الله أجنادًا أمانيها

وتأمل أخي في الله هذا الدعاء العظيم الذي كان يقوله رسول الله ﷺ في صلاته، فعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: **«اللّٰهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم»**(١).

وقال ﷺ: **«إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللّٰهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له»**(٢)، وقال ﷺ: **«ثلاثة يحبُّهم الله، وثلاثة يبغضهم الله؛ فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قومًا فسألهم بالله، ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه، فتخلّف رجل بأعقابهم فأعطاه سرًّا لا يعلم بعطيته إلا الله، والذي أعطاه. وقومٌ ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يُعدَلُ به نزلوا فوضعوا رءوسهم فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي**(٣)، **ورجلٌ كان في**

---

(١) النسائي (٣/ ٥٤) واللفظ له، والترمذي (٣٤٠٧)، وأحمد (٤/ ١٢٥)، والحاكم ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه (٢٤١٦). وللحافظ ابن رجب رسالة خاصة في شرحه ضمن مجموع رسائله.

(٢) البخاري، الفتح (١١/ ٦٣٣٨). ومن أخطاء العامة في هذا الباب قولهم: غفر الله لك إن شاء الله، وشفاك الله إن شاء الله.

(٣) ورويت هذه الحال كثيرًا عن ابن باز رحمه الله تعالى في أسفاره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سريّة فلقي العدوَّ فهُزموا، وأقبل بصدره حتى يُقتل أو يُفتح له. والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم»[١].

فتأمل ـ رعاك الله ـ أولئك الثلاثة الذين يحبهم الله تعالى، وما هو الجامع بينهم؟ إنه العزم بإخلاص. فالأول ضد ماله، والثاني ضد راحة جسده، والثالث ضد سلامة روحه. فكانت الجائزة محبة رب العالمين، نسأله سبحانه من فضله.

وتأمل قصة استشهاد أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢] وقول الله تعالى فيه وفي أصحابه: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، كذلك قصة سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الباحث عن الحقيقة، والمتدين بالمجوسية ثم النصرانية حتى هداه الله للإسلام، في قصة عظيمة تدل على عظيم عزم الرجل ويقينه وحسن ظنه بربه[٣]، وقصة سلمة بن الأكوع ورده سرح رسول الله ﷺ في الغابة[٤]، والبراء بن مالك وخالد بن الوليد وصحابة رسول الله صلوات الله عليه ورضي عنهم وكيف كانوا أسياد أنفسهم عزيمة ومضاءً، فكانوا حقيقين بقول الله تعالى في المقربين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤].

---

(١) الترمذي (٢٥٦٨) واللفظ له وصححه. وأحمد (٥/ ١٥٣)، وابن حبان (٣٣٤٩) وصححه الأرنؤوط.

(٢) البخاري، الفتح (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٣) انظرها بطولها في المسند (٥/ ٤٤١ـ٤٤٤)، والبزار (٣/ ٢٦٨).

(٤) وانظرها مطولة مع أخباره في الحديبية وغيرها في مسلم (١٨٠٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسمع عامر بن عبد الله بن الزبير ـ رحمه الله ورضي عن أبيه وجده ـ المؤذّنَ وهو يجود بنفسه فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل، قال: أسمعُ داعي الله فلا أُجيبه! فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب، فركع ركعة ثم مات(١).

وكأنَّـــهُ للعـــزم ريـــح عاصـــفٌ　　　وكأنـــه للحلـــم طـــود راكـــدُ

ولما حاصر المسلمون القسطنطينية أقسم قسطنطين ألا يسلمها لهم، وأن يدافع عنها حتى آخر حياته، فإما أن يحتفظ بعرشها أو يُدفن تحت أسوارها، فلما بلغ ذلك محمد بن مراد العثماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ محمد الفاتح ـ قال: حسنًا، عمّا قريبٍ سيكون لي في القسطنطينية عرشٌ، أو يكون لي فيها قبر(٢).

فالعابد والمتصدق والمجاهد والبارّ وطالب العلم كلهم ينتظمهم سلك العزيمة المضَّاءُ، فإما عزمٌ فوصول بإذن الله، وإما عجزٌ وخذلان عياذًا بالله، والله المستعان.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥/ ٢٢٠).
(٢) محمد الفاتح، الرشيدي (١١٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقفة تدبر

روى أبو نعيم والحاكم أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ شيّع جنازةً من أهله، ثم أقبل على الناس فوعظهم وذكّرهم الدنيا وذمّها، وذكر أهلها وتنعّمهم فيها، وما صاروا إليه بعدها من ظُلمة القبر، وكان من كلامه قوله:

«إذا مررت بهم فنادهم إن كنت مُناديًا، وادعهم إن كنت داعيًا، ومُرَّ بعسكرهم وانظر إلىٰ تقارب منازلهم، سَلْ غنيَّهُم ما بقي من غناه؟ وسَلْ فقيرهم ما بقي من فقره؟ وسَلْهُم عن اللسان الذي به يتكلمون؟ وعن الأعين التي كانوا بها إلىٰ اللذات ينظرون؟ وسلهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان؟ مَحَتِ الألوان، وأكلتِ اللُّحمان، وعَفَتِ الوجوه، ومحت المحاسن، وكرّت القَفا، وأبانت الأعضاء، وخرجت الأشلاء.

وأين حُجَّابُهم وقيانهم، وأين خدمهم وعبيدهم، وجمعهم وكنوزهم؟ والله ما زوّدوهم فرشًا، ولا وضعوا هناك مِسْكًا، ولا غرسوا لهم شجرًا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارًا.

أليسوا في الخَلَوات؟ أليس الليل والنهار عندهم سواء؟ أليس في مُدْلَهِمَّةٍ طلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة.

وكم ناعمٍ وناعمة أصبحت وجوههم بالية، وأجسادهم عن أعناقهم بائنة، وأوصالهم مُتفرّقة، وقد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه صديدًا،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ودبَّت دوابُّ الأرض في أجسادهم، وتفرّقت أعضاؤهم.

ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرًا؛ حتى عادت العظامُ رميمًا، قد فارقوا الحدائق، وصاروا بعد السَّعة في المضائق، وقد تزوّجت نساؤهم، وتردَّدت في الطرقات أبناؤهم، وتوزّعت القرابات ديارهم وميراثهم، فمنهم والله الموسَّعُ له في قبره، والغضُّ الناضِرُ فيه، والمُتنعِّمُ بلذّته.

يا ساكن القبر غدًا! ما الذي غرَّك من الدنيا؟ هل تعلم أنك تبقى لها أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء، ونهرُك المضطرد؟ وأين ثمرتُك اليانعة؟ وأين رِقاقُ ثيابك؟ وأين طيبُك وبخورُك؟ وأين كسوتُك لصيفك وشتائك؟!

أما والله قد نزل به الأمر، فما يُدفع عنه، وخَلا وهو يرشَحُ عرقًا، ويتلمَّظُ عطشًا، يتقلَّبُ في سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء القدرُ والقضاء، هيهات وهيهات! يا مُغمِّض الوالِدِ والولد وغاسلِه، يا مكفِّن الميِّت وحامله، يا مُخلّيه في القبر راجعًا عنه! ليت شعري؛ بأي جنبيك بدا البِلَى؟ يا مجاور الهلكى صِرْت في محلة الموتى، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا، وما يأتيني به من رسالة ربي[1] ثم انصرف، فما عاش بعد

---

(١) ورد أنه حين احتضر أخرج من كان عنده من أهله، وقال: إني لأرى رجالاً ما هم من أهل الدنيا، فلما خرجوا وأغلقوا الباب سمعوه يقرأ مستبشرًا: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] ثم فاضت نفسه رحمه الله ورضي عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك إلا جمعة، رحمه الله تعالى»[١].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) عن عقود اللؤلؤ والمرجان، إبراهيم آل عبد المحسن (٣٩٣-٣٩٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موسوعة
تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب
تأليف: إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

١) مقدّمات في أقوال وأعمال القلوب
٢) التوحيد والإخلاص
٣) العبودية
٤) الصدق مع الله تعالى
٥) محبّةُ الله تعالى
٦) الشّوقُ إلى الله تعالى
٧) الأُنسُ بالله تعالى
٨) الإرادة
٩) العزم
١٠) الرّجاء
١١) الرّغبة
١٢) التّوكّلُ على الله تعالى
١٣) حُسنُ الظّنّ بالله تعالى
١٤) الثقةُ بالله تعالى
١٥) الافتقارُ إلى الله تعالى
١٦) الاستغناءُ بالله تعالى
١٧) التعلُّقُ بالله تعالى
١٨) الالتجاءُ إلى الله تعالى
١٩) الاعتصامُ بالله تعالى
٢٠) سلامةُ الصّدر
٢١) العفاف
٢٢) الصَّبر
٢٣) الرّضا
٢٤) ...

الصف والتنسيق والإخراج الفني
خالد محمد جاب الله
مكة المكرمة - جوال: 0502543917